جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة – الجزائر
EISSN: 2588-2384،ISSN: 1112-4377
المجلد: 29 العدد 03 السنة 2025
مجلة المعيار
EL MIEYAR

التعليم والبحث باللّغة العربية في الجامعة الجزائرية: الواقع والمأمول

Teaching and research in the Arabic language at the Algerian University: Reality and hope

مرجان رادية[1]
r.merdjane@univ-boumerdes.dz

تاريخ الاستلام: 2025/01/29 تاريخ النشر: 2025/06/01
Received: 29/01/2025 published: 01/06/2025

ملخص المقال:

يعتبر مشروع تعريب التعليم العالي في الجزائر خطوة هامة من أجل التصدي لتيار الفرنسة من جهة، وتطبيقا لهوية نصّ عليها دستور الدولة الجزائرية منذ الاستقلال من جهة أخرى. رغم أنّ تعريب التعليم الجامعي أمر فيه مخاطرة إلاّ أنه ضرورة حتمية، ولأنّ اللغة مرتبطة ارتباطا وثيقا بالتحصيل العلمي هذا ما يجعنا نطرح التساؤل التالي: ما هو واقع التعليم والبحث باللغة العربية في الجامعة الجزائرية؟ وتهدف هذه الورقة البحثية إلى بيان أنّ تعريب التعليم العالي ضرورة يفرضها الواقع ولكي يصبح العلم نشاطا عربيا لابد من نقله ودراسته باللغة العربية، وكذا العمل على نشر البحوث والنظريات بها. وقد قسمت البحث إلى عناصر تتناول واقع اللغة العربية في التعليم الجامعي، وصعوبات التعليم والتعلّم بها في الجامعة الجزائرية. وفي الأخير توصلنا إلى أنّ الانتماء يجب أن يكون ممارسة فعلية ومن سبل خدمة اللغة العربية التدريس والتأليف والنشر بها، لأن ذلك يخلق لدى الطالب الجامعي اهتماما أكبر بلغته وفكرها.

كلمات مفتاحية: تعريب التعليم، التعليم الجامعي، البحث العلمي

Abstract:

The arabization of higher education in algeria is an important step toward countering the trend of francization, and implementing the identity enshrined in the algerian constitution since independence. Although arabization of university education, is risky, it is an absolute necessity, because language is closely linked to academic achievement, this prompts us to pose the following question: What is the reality of teaching and research in the Arabic language at the Algerian university? This research paper aims to demonstrate that the Arabization of higher education is a necessity imposed by reality. The research was divided into elements that address the reality of the Arabic language in university education, and the difficulties of teaching and learning with it at the Algerian university. Finally, we concluded that belonging must be an actual practice, and one of the ways to serve the Arabic language is by teaching, writing, and publishing it.

Keywords: Arabization of education, university education, scientific research

(1) جامعة أمحمد بوقرة بومرداس الجزائر

مقدمة:

تعتبر اللّغة هي إحدى مقومات الأمة، وهي قضية وجود ولا مجال للحديث عن بقاء واستمرار الأمة من دونها. واللّغة العربية هي لغة ديننا وحضارتنا وتراثنا، وهذا الأمر مسلم به ولا يختلف فيه اثنان ينتميان إلى الوطن العربي. ويعد التعليم الجامعي المحرك الأساس للبحث العلمي، فالمؤسسات الجامعية تؤدي مهام البحث العلمي والذي فيه خدمة عظيمة للمجتمع، وما هدف الجامعات إلا تزويد الطالب بالمعلومات والمهارات والاتجاهات مما يجعله قادرا على اتقان التعليم والتكوين ولا يحصل ذلك إلاّ بإتقان اللغات الحاملة لهذه العلوم، والأمم تحقق نهوضها وتقدمها بالتعليم خصوصا التعليم الجامعي كونه يؤثر في المجتمع ويتأثر به.

وإذا تحدثنا عن تعريب التعليم الجامعي فهذا أمر يمكن أن يراه المتخصصين في مختلف العلوم أنه خطير وفيه خسارة كبيرة، لأنّ العربية لا تسعفهم في تدريس العلوم وتدوين النتائج والبحوث والنظريات، وبأنّ متابعة العلوم بلغة أصحابها أي الأجنبية أدق حيث تجعلنا على صلة مباشرة مع أصحابها، ومن جهة أخرى يؤكدون عدم طواعية اللّغة العربية كلغة تدريس وبحث ونشر. وهذا يدفعنا لطرح التساؤلات التالية: هل اللّغة العربية قادرة على تحمل العلوم الغربية ومفاهيمها ونظرياتها؟ وما هو واقع تعليم العلوم والبحث فيها باللغة العربية خصوصا في الجامعة الجزائرية؟

وقد بنينا هذه الورقة البحثية على مجموعة من الفرضيات أهمها أنه يمكن للغة العربية التفتح على اللغات والثقافات من منطلق مرونتها وإمكانيتها اللغوية المتعددة، كما يمكن تعريب العلوم في الجامعات العربية وخصوصا الجزائرية بكل نجاح، وخير دليل على ذلك نجاح تجربة بعض الدول العربية في التدريس في الجامعات باللغة العربية خاصة علوم الطب والهندسة. ويهدف هذا البحث الكشف عن أسباب ضعف التحصيل باللغة العربية والسياسة اللغوية المعتمدة لتعريب التعليم في الجامعات الجزائرية، والكشف عن واقع التعليم والتعلّم باللّغة العربية في الجامعة الجزائرية، وذلك من خلال تناولنا لعدة محاور تخدم الموضوع أهمها: الوقوف على وضع اللّغة العربية في التعليم الجامعي، وأسباب ضعف التحصيل باللّغة العربية، ودور التعليم الجامعي في الحفاظ على اللّغة العربية، والتخطيط اللغوي والتعليم الجامعي بالجزائر، وصعوبات تدريس العلوم باللّغة العربية في الجامعة، والعلاقة بين التكنولوجيا الحديثة والتعليم باللّغة العربية في الجامعة الجزائرية. وذلك لأنّ الحديث عن مسألة اللّغة العربية في مجال البحث العلمي يقتضي بالضرورة الحديث عن استخدام الحواسيب والشابكة والمعاجم الموحدة وخصوصا المتخصصة متعددة اللّغة أو ثنائية على الأقل، ولأن ذلك كله يشكل وسائل مساعدة لتطور البحث العلمي باللّغة العربية في الجامعات.

ويتمثل مجال دراسة هذه الورقة البحثية في ميدان العلوم التقنية والعلوم التطبيقية التي تركز على المعرفة العلمية للطبيعة، والتي تهتم بتطبيق المعرفة في أحد العلوم الطبيعية، وهي التي تغطي عادة مجالات مرتبطة بالتخصصات العلمية وقد تشمل أيضا مجالات مثل الهندسة والتكنولوجيا.

1- أسباب ضعف التحصيل باللغة العربية

إنّ الوظيفة الأساسية للغة هي التبليغ والتواصل، أما في الجزائر فلم تفلح السياسة اللغوية المتبعة فيه لاكتساب مهارات لغوية تجعل التواصل بين أفراده سليما. حيث إنّ هذه السياسة جعلت من الجزائري لغة في العلوم الإنسانية، لغة في العلوم التقنية (لغة المستعمر) وإذا أجبروا على التواصل مع العامة في مجتمعهم نجدهم معوقين لغويا وهذا ما يجعلهم يستنجدون بالدوارج بهدف التواصل مع الغير، أما الفئة الثانية فهي الفئة التي تستخدم اللغة العربية في العلوم الإنسانية (فلسفة، تاريخ، علم النفس، علم الاجتماع، الاقتصاد، التربية، الأدب، علم المكتبات). حيث تتلقى هذه الفئات تكوينها باللغة العربية وهو أمر طبيعي إذ أنّ اللغة العربية هي اللغة الرسمية في دولة الجزائر.

يوضح الباحث مبارك تريكي قضية الصعوبات التي يصادفها من تلقى تعليمه الجامعي باللغة العربية بقوله: (تريكي، 2012، صفحة 18) "غير أنّ هذه الفئة سرعان ما تصطدم بواقع مرّ وأليم حينما تتخرج من الجامعة، وتتوجه إلى عالم الشغل، إذ يفرض عليها هذا العالم أن تتفرنس وإلا لم يكن لها حظ في الحصول على منصب شغل، خاصة في المؤسسات الاقتصادية والإدارية غير التابعة للوظيفة العمومية". ولأنّ تعريب العلوم هو نشاط ينقل العلوم من لغات أجنبية للغة العربية ثم دراسة هذه العلوم باللغة العربية ونشر بحوث خاصة ونظريات بهذه اللغة. واللغة العربية مبعدة من الحقول العلمية والتقنية.

تعتبر اللّغة العربية اللّغة الجامعة لطلاب الجامعات العربية بما في ذلك الجزائر، وهي لغة الفكر لهذه البلدان فاللغة تشكل الفكر استماعا وقراءة وحوارا ومناقشة شفاهة أو كتابة فاللغة هي مسار الفكر عند الفرد. إن العناية باللّغة العربية في مجال التعليم الجامعي واجب لجعل هذه اللغة في مصاف اللغات العالمية، وإذا نظرنا لعدد الناطقين بها وعدد البلدان العربية والإمكانات التي تتوفر عليها نرى أنها ليست لغة للعرب فقط فهي لغة للمسلمين ككل. وإذا ما أردنا نجاحها في التعليم العالي فسنجد أنفسنا أمام تعريب مفروض وعلينا التسليم أنّ التعريب هو مدخل لتمكين هذه اللغة وجعلها لغة عالمية للتدريس والبحث العلمي.

إنّ قضية اللّغة من أهم قضايا الهوية، وإن نحن أهملناها أصبح انتماءنا مشكوكا فيه وغير سليم، ولو عاش أحدنا بعيدا عن وطنه وأمته إلاّ أنه يبقى فكريا مرتبطا بها، وخير مثال على هذه المسألة ما أنتجه أدباء المهجر. إنّ هذا الانتماء يجب أن يكون ممارسة وعلى كل دارس وباحث ألا يفرط بشيء من هذه المقومات التي تشكل انتماءه.

من مميزات اللّغة أنها كيان أو جسم اجتماعي، واللغة والأمة أمران متلازمان ولا أحد في هذا المجتمع يرضى أن ينسلخ من أمته وإلاّ لما سعى المستعمر إلى تجهيل الشعوب من خلال محاربة لغاتهم القومية واحلال لغتهم محلها. إنّ السعي وراء حفظ كل أمة للغتها لا يعني ذلك عدم الأخذ من الشرق والغرب بلغاتهم ودراستها والتمكن منها ودراسة مؤلفاتهم والاطلاع على جهود علماءهم شرط أن نقوم بنشر ما نحصل عليه لأبناء أمتنا ليفهموه.

يخلق تدريس العلوم بالعربية لدى الطالب اهتماما والتصاقا أكبر بأمته ولغتها وفكرها وقضاياها ومستقبلها واحترامه لمكانتها بين اللّغات ولمواطنيها ولقدرتها وحيويتها. أما في حالة تلقينه العلوم في بلاده العربية بلغات أجنبية فإنّ له فإن ذلك سينجر عنه عواقب وخيمة على نفسيته وشخصيته، وقد يؤدي به ذلك إلى الاستخفاف بهذه الأمة ولغتها ورصانة مجتمعها وقدرتها على التحدي والبقاء، إضافة إلى عدم قدرته على التأثير في المجتمع بتحصيله ومشاركته وفاعليته.

والنظام التعليمي في أي بلد من البلدان منظومة مركبة من علاقات وإجراءات تتجاوز مجرد مؤسسات تعليمية وطلبة وأساتذة، لأنها تُعنى بالمجتمع الذي تنتمي إليه هذه المؤسسات التعليمية. لهذا فالتركيز على المنظومة التعليمية وتطويرها من الأولويات لتطوير المجتمع اجتماعيا وحتى على المستوى الاقتصادي والسياسي.

ذكر خنيش السعيد في كتابه "تكنولوجيا تعليم اللّغة العربية في الجامعة الجزائرية" التحديات التي تواجه التعليم الجامعي باللغة العربية بقوله: (السعيد، 2016، صفحة ب) "ولم يعد واقع التعليم العالي بمختلف تخصصاته في الآونة الأخيرة كما كان سابقا تقليديا، بل أصبح مطالبا بمواجهة كثير من التحديات، في مقدمتها تحديات البيئة المتغيّرة والتطورات التقنية في كافة المجالات، بما فيها تخصص اللّغة العربية تعليما وتعلما. إضافة إلى تحدي خدمة المجتمع والخريجين وسوق العمل، وبروز مدخل إدارة الجودة الشاملة للتعليم الجامعي".

يحظى التعليم الجامعي في جميع دول العالم باهتمام بالغ نظرا لمساهمته في تكوين الفرد وإبراز كفاءاته ودوره في التقدم بالمجتمع، وإنّ اهتمام الجامعات العربية عموما والجامعة الجزائرية خصوصا بمجال تعليم العلوم باللّغة العربية لا يعني ذلك اهمال اللغات الأجنبية وإنما هي دعوة إلى اتقان اللّغة الأم والاعتماد عليها كلغة دين وعلم يمكن لها أن تستوعب جميع العلوم.

2- اللغة العربية في التعليم الجامعي:

إنّ اللّغة العربية ليست أداة للتعبير فقط ونقل أفكار الناس وأحاسيسهم، وإنّما هي لغة علم تكتب بها الصحف والمجلاّت والمؤلفات والتقارير والخطابات، وهي اللّغة الرسمية التي تعتمدها البلدان العربية في تعليمها الأساسي، فالجزائر على غرار البلدان العربية تعتمد اللّغة العربية في التعليم الأساسي بمختلف مراحله: الابتدائي والمتوسط والثانوي والأمر نفسه حتى في التعليم الجامعي في أغلبية التخصصات خاصة ما يتعلق منها بالعلوم الإنسانية والاجتماعية والاقتصادية والمالية والتجارية. (إسماعيل، 2007، صفحة 12) والجامعة الجزائرية كغيرها من الجامعات العربية هي المؤسسة الاجتماعية العلمية المؤهلة بحكم بنائها التنظيمي وكوادرها الفنية لإنتاج ونشر المعرفة وتنمية القوى البشرية المؤهلة لخدمة المجتمع، لذلك فإن الجامعة مطالبة بأن تحدث بنيتها التعليمية والبحثية والخدمية باستمرار حتى تواكب متغيرات التقدم الحضاري وتهتم بتوثيق الروابط الثقافية والعلمية مع جامعات أخرى داخل الوطن وخارجه.

يركز المحتوى العلمي في عملية التدريس في التعليم الجامعي على مجموعة من القيم، والجامعة بصفة عامة هي المسؤولة عن بناء نظام هذه القيم وهي عموما تحاول تحقيق مجموعة من الأهداف تتمثل فيما يلي:

- تنمية مواهب الانسان وقدرته.
- تزويد البلاد بالمتخصصين ذوي المستويات.
- ربط الطالب بمواقع الإنتاج في المجتمع.
- تنمية المهارات الأكاديمية والفنية المتخصصة.
- تنمية الإحساس بالانتماء للمجتمع عند الطالب.
- نقل التكنولوجيا وتطويعها لخدمة التقدم الحضاري للمجتمع (الكندري، 2004، صفحة 39).

3- التعليم الجامعي والحفاظ على اللغة العربية:

يعرّف التعليم بأنه عملية منظمة تهدف إلى اكتساب الشخص المتعلم للأسس العامة التي تبني المعرفة، وذلك بطريقة منظمة ومقصودة. والتعليم عبارة عن نقل المعلومات إلى المتعلم بطريقة منظمة ومنسقة، ومصطلح التعليم يطلق على تلك العملية التي تجعل الطالب يكتسب علما معينا، ومن خلالها يتمكن المعلم من توجيه الطالب من أجل تحقيق أهدافه، وهي عملية تفاعلية بين المعلم والمتعلم.

ويعتبر التعليم التزام مشترك بين المعلم والمتعلمين، هدفه بناء القدرة في المتعلم وإعداده وتثقيفه من أجل القيام بأمور وإنجاز أعمال جديدة، حيث تعتبر وسيلة فعّالة في تطوير قدرات الأفراد وتمكينهم من التفكير بشكل أفضل وفعّال بما فيه التفكير النقدي.

إنّ اعتماد اللّغة العربية في التعليم الجامعي لا يعني بالضرورة اهمال اللّغات الأجنبية أو عدم دراستها والتدريس بها إنّما من باب وجوب الحفاظ على اللّغة العربية وحسن إتقانها، بكونها اللّغة الأم ثم تخصيص لغة أجنبية تكون لغة ثانوية بعد اللّغة العربية. لأن العربية ليست فقط لغة دين وإنما لغة علم أيضا، كونها خطوة أساسية وذات أهمية كبيرة للحفاظ على اللّغة العربية واتقانها من طرف المثقفين المتخصصين، ثم تخصيص لغات أجنبية أخرى للتدريس بها بعد اللّغة الأم. إضافة إلى أنّ التقدم الحضاري يفرض نقل العلوم إلى العربية، وهو ما حدث مع العرب في العصر الذهبي (العباسي) والأمر نفسه قام به الغرب في عصر النهضة الأوربية حيث قاموا بنقل علوم الحضارة الإسلامية إلى لغتهم.

تؤكد الباحثة الأكاديمية شابي سعاد على أنّ مسألة التدريس في الجامعة ليس بمسألة صعبة أو خطيرة بقولها: (سعاد، 2013، صفحة 265)"إنّ الدعوة إلى استخدام اللّغة القومية في جامعاتنا الجزائرية ليس بالأمر العجب، إذ أنّ دول العالم تتخذ من لغتها القومية لغة للتعليم العالي في جامعاتها، بما يساعد على تحقيق الإبداع العلمي وتوطيد علاقة الجامعة بالمجتمع ورفع المستوى العلمي والثقافي للأمة".

إنّ قناعة الجامعات في الوطن العربي وفي الجزائر خاصة بضرورة تعريب العلوم إضافة إلى توفر دوافع كافية لدى هيئة التدريس في التعليم الجامعي من أجل العمل على تحقيق هذا التعريب يعتبران شرطان أساسيان لضمان نجاح مشروع جعل اللغة العربية لغة للتدريس والبحث العلمي وذلك في مختلف التخصصات، وعليه فإنّ عقد المؤتمرات وإقامة الندوات وإثارة الحوار حول قضايا التعريب ومشكلاته ووسائله في جميع أقطار العربية، بل في جميع المؤسسات العلمية والجامعية يساعد كثيرا في التغلب على هذه الرواسب التقنية (المبارك، 1985، صفحة 36).

ولا تقتصر اللّغة العربية على مجرد الإلمام بالمفردات والمتون والقواعد اللغوية، وعليه ينبغي الانتباه والعمل على تصويب اللّغة العربية لدى الطلاب الجامعيين وضرورة تحسيسهم لالتزام أصول اللّغة العربية. تواصل شابي سعاد حديثها في نفس المقال عن كيفية العمل على تطوير إمكانيات اللّغة العربية لنجاح العملية التعليمية حيث أكدت أنّ (سعاد، 2013، صفحة 267)"للحفاظ على اللّغة العربية لابد من تحصينها على مستوى النحو والمعجم والصوت لتكون شريكا في مجتمع العولمة، له شخصيته المميزة، ولتحقيق ذلك لابد من تقديم أنموذج موحد لخطاب لغوي عربي عصري يمكنه أن يقف جنبا إلى جنب مع اللغات العالمية، وطبعا هذا النموذج يتجاوز قضايا تعددية اللهجات في العالم العربي، وازدواجيتها، ومستويات الفصاحة أو الصواب، لأنّ وجود اللهجات حقيقة مرافقة لمعظم اللغات". كون هذه اللهجات ذات محدودية فهي لا تشكل خصما للغة العربية الواحدة والموحدة.

ولا يفوتنا أن نذكر في هذا المقام أنّ للتعريب دور كبير في الحفاظ على اللّغة العربية وحمايتها، ثم إنّ مسألة التعريب في الجزائر تم تبنيها من طرف القيادة السياسية الوطنية، وذلك من خلال تبني سياسة ثقافية وطنية، والتي كان هدفها الأساسي تعزيز قيمة التراث الثقافي الوطني واسترجاع اللغة العربية مكانتها وجعلها عنصرا أساسيا في شبكة العلاقات الاجتماعية.

رغم أنّ مسألة التعريب كانت من أولويات اصلاح 1971 للتعليم العالي إلاّ أنّ الأمر تأخر في تطبيقه نظرا للصراع الذي ساد الجامعة في تلك الفترة بين المؤيدين للتعريب والمفرنسين الذي هم ضد التعريب، حيث شنّ بعض الطلبة إضرابات رافضين للتعريب، أما الدولة فكان هدفها من الإصلاح هو منتوج الجامعة أي خريجي الجامعات فوضعت تدابير مراعية نوعية الإطار المعد للتكوين إذ يعتبر الإطار أحد المواضيع الثلاث الأساسية التي يشملها الإصلاح يقول محمد الصديق بن يحي (جرادي، 2017، صفحة 15) "وهي: مناهج التعليم، محتوى التعليم، ثم الإطار. ومن بين الإلزاميات التي يجب أن يتكون بها الإطار الجزائري أن يكون:

-من ذوي الاختصاص التقني.

-مطبوع بالشخصية الجزائرية.

-واعيا للواقع الوطني".

وفي 10 أوت 1980 صدر مرسوم وزاري والذي ينص على تعريب العلوم الاجتماعية، أما العلوم الطبية والعلوم الدقيقة فهي لا تزال لحد الساعة تدرس باللغة الفرنسية. وقد تزامن تاريخ صدور هذا المرسوم وأحداث منطقة القبائل في أفريل 1980 فيما يسمى بالربيع الأمازيغي حيث برز المطلب الثقافي بحدة في تلك السنة وكان لذلك أثر في تسريع عملية تعريب التعليم العالي في شقه المتعلق بالعلوم الاجتماعية في سنة 1981، وقد تخرجت أول دفعة معرّبة سنة 1984.

وكمرحلة أولى اتخذت الدولة من خلال وزارة التعليم العالي تدابير أولية تتمثل في نشر التعليم باللّغة العربية لجميع الطلبة الجدد الحاصلين على شهادة البكالوريا والملزمين بمتابعة دروسهم بعدها باللغة الأجنبية، والهدف من هذا الإجراء تكوين إطارات مؤهلة للتعبير باللغة العربية أو الوطنية.

كما أصدرت الجمهورية الجزائرية من خلال جريدتها الرسمية عام 1991 قانونا يتعلق بتعميم استعمال اللّغة العربية وقد تضمن من خلال مواده أربع مواد تنص على تعريب التعليم الجامعي وهي كالتالي:

المادة 27 من الفصل الثالث: تنص على أن ينشأ مركز وطني يتكفل بما يأتي:

-تعميم استعمال اللّغة العربية بكل الوسائل الحديثة الممكنة

-ترجمة البحوث العلمية والتكنولوجية من اللغات الأجنبية إلى اللّغة العربية ونشرها

-تجسيد البحوث النظرية للمجمع الجزائري للغة العربية والمجامع العربية الأخرى في واقع الحياة العملية

المادة 28 من الفصل الثالث: تخصص الدولة جوائز لأحسن البحوث العلمية المنجزة باللغة العربية

المادة 36 من الفصل الخامس: (معدلة بالأمر 96-30) تنص على أنه: يجب استكمال عملية تعميم استعمال اللّغة العربية في أجل أقصاه سنة 1998. غير أنه يتم التدريس باللّغة العربية بصفة شاملة ونهائية في كل مؤسسات التعليم العالي والمعاهد العليا في أجل أقصاه 5 يوليو سنة 2000، مع مراعاة أحكام المادة 23 (معدلة بالأمر 96-30) والتي خصصت لبيان مهام المجلس الأعلى للغة العربية خاصة ما يتعلق منها بتعميم استعمال اللغة العربية وحمايتها والعمل على تطويرها وترقيتها.

المادة 38 من الفصل الخامس: يجوز استثناء كتابة التحاليل والوصفات الطبية باللّغة الأجنبية إلى أن يتم التعريب النهائي للعلوم الطبية والصيدلانية. (1991، الصفحات 47-48).

وبناء على كل ذكر يمكن القول أنّ الجزائر قد بذلت جهودا جبارة في سبيل تعريب التعليم العالي وقد حققت في ذلك خطوات هامة خاصة ما تعلق بالعلوم الإنسانية والإسلامية والاجتماعية والاقتصادية، إلاّ أنها لم تتمكن من التخلص تماما من تبعية اللّغة الفرنسية في بعض التخصصات في العلوم الدقيقة والعلمية كالطب والصيدلة.

4-التخطيط اللغوي والتعليم الجامعي في الجزائر:

يقول الباحث فلوريان كولماس: (كولماس، 2002، صفحة 161)" إنّ صياغة سياسة لغوية رشيدة في دولة متعددة اللغة هي في ذاتها مسألة اقتصادية ويجب أن تكون لها أسبقية عظيمة مثل المسائل الاقتصادية الأخرى". وهذا يعني أنّ التخطيط لسياسة لغوية في بلد من البلدان، تابع للسياسة الاقتصادية ككل ولما له من أهمية في تنمية الوطن ككل. والسياسة اللغوية غير المتجانسة في بلدنا هي التي تقف وراء ضعف المهارات اللغوية في مجتمعنا.

وإذا ما توقفنا على السياسة اللغوية المنتهجة في الجزائر نجد أنها تفتقر لما ينص عليه الباحثون حول العالم والتي من بينها التركيز على دور وسائل الاعلام في الاستعمال اللغوي، ودور الأكاديميات والمجامع في الحفاظ على معايير اللغات وهذه بعض الإجراءات التي تتخذها معظم الدول في تخطيطها اللغوي بهدف النهوض بالأمة من عدة جوانب منها اللغوي والفكري والاجتماعي. والباحثون حول العالم (تريكي، 2012، صفحة 05)" ينصون على أنه من واجب الدول أن تحرص على تحقيق تعايش بين اللغات المتداولة فوق ترابها، وتعمل على تماهي ظاهرة اللاتجانس في المجتمع، وكذا زيادة الوعي بتشابك العلاقات الدولية، لهذا تتوخى اليوم الكثير من الدول إيجاد حل لهذه المشاكل عن طريق تخطيط لغوي واع ومحكم، يشمل هذا التخطيط صياغة وتنفيذ إجراءات رسمية تنظم استعمال اللغات وتنويعاتها المختلفة داخل البلد الواحد".

يعد التخطيط اللغوي نشاطا رسميا تضطلع به الدولة وتنتج عنه خطة تصب على ترتيب المشهد اللغوي في البلاد خاصة اختيار لغة أو أكثر رسمية او إدارية، وهو مجموعة من محاولات وجهود واعية ومنظمة لحل مشاكل لسانية وتتمحور جل هذه الجهود في تغيير شكل لسان أو استعماله وطنيا أو توسيع لسان بصورة معيارية وبمعنى اخر هو التطبيق الفعلي لسياسة لغوية، فما هي السياسة اللغوية المنتهجة في جامعات الجزائر.

تواجه اللّغة العربية في عصرنا تحديات تضعفها كالدعوة إلى تيسيرها وتيسير نحوها، وذلك من خلال الدعوة إلى التخلي عن الاعراب، واستعمال الدوارج بدلا من الفصحى، ولعل الحجة في ذلك تتمثل في صعوبة تعلم اللغة العربية وقواعدها، وعجزها عن تأدية أغراضها الأدبية، وهي حجج غير منطقية لأن اللّغة العربية مثلها مثل باقي اللغات في العالم لها نظامها الخاص سواء الصوتي أو الصرفي أو النحوي أو الدلالي، وهذه القواعد هي التي تضبطها وتسهل عملية تعليمها وتعلمها، والتاريخ شاهد على أنّ اللغة العربية لغة أدب وعلم ودين وهوية مثلها مثل باقي اللغات في العالم.

5- صعوبات تعليم وتعلّم اللغة العربية في الجامعة الجزائرية:

تعتبر اللّغة دليل على هوية المجتمع وهي التي تعمل على ترتيب الأفكار وتصنيفها وتبويبها في ذهن الإنسان وبها يتم تحليل مختلف الظواهر ورغم المكانة الاجتماعية التي تحظى بها اللّغة العربية في المجتمع الجزائري، إلاّ أنّها تعاني من مشاكل عويصة نظرا لممارسة المجتمع الجزائري لعدد كبير من اللهجات والتي تختلط باللّغة الفرنسية عادة وبقيت بذلك اللغة العربية لغة أكاديمية تستعمل فقط في الممارسات الرسمية والتربوية والتعليمية على مختلف أطوارها.

وقد تراجعت اللّغة العربية في المجتمع الجزائري بسبب غياب المراقبة الدقيقة لمناهج وطرائق التعليم، خاصة ما يتعلق بالتعليم العالي، وفي ظل انتشار اللّغة الفرنسية والتعليم بها في جل الجامعات الجزائرية خاصة في التخصصات العلمية والدقيقة نتج عن ذلك غياب الأمن اللغوي في الجامعة الجزائرية. والشائع في المجتمع الجزائري أنّ من يدرس باللّغة العربية هم طلبة أقل مستوى ممن يدرس باللغة الفرنسية. وبما أنّ الجزائر ولسنوات طوال كانت تظهر اهتماما بالغا لتدريس العلوم باللّغة الفرنسية في جل التخصصات العلمية ولمدة أزيد من نصف قرن، وحتى الوثائق الإدارية والاعلانات الرسمية لوزارة التعليم العالي تحرر باللّغة الفرنسية، وبذلك ساهمت كذلك في نشر سياسة النظرة الدونية للتخصصات التي تدرس باللّغة العربية.

تعد مسألة تعليم وتعلم اللّغة العربية في المدرسة الجزائرية من المسائل الصعبة التي لا يزال السؤال بخصوصها مطروحا وذلك لأن مشكلة اللّغة العربية في المؤسسات التعليمية مشكلة عميقة بكل أبعادها وعلى كل مستوياتها. ولا يزال متعلم اللّغة العربية مهما تقدم في مساره التعليمي يعاني من صعوبات لغوية كثيرة، وهذا ما يجعله غير قادر على توظيفها بشكل جيد أثناء التواصل مع غيره.

إنّ المتتبع لحال اللّغة العربية الفصحى في الجزائر وفي مؤسساتها التعليمية بكل أطوارها يجزم أنّ اللّغة العربية تشهد أزمة حقيقة تتمثل في عزلة مفرداتها وتراكيبها وقواعدها وما يستخدمه الجزائريون في حياتهم اليومية من مأكولات وملابس وغيرها كلها موظفة بألفاظها الأجنبية. تدعم الباحثة جميلة روقاب هذه الفكرة بقولها: (روقاب، 2012، صفحة 49) "ومن ثم يعرفها الناس بتلك الألفاظ الدخيلة على اللّغة العربية، وهذه محنة أخرى من المحن التي ابتليت بها العربية في عصرنا الحاضر".

ولعل مشكل التداخل اللغوي في الجزائر من أبرز الأسباب التي أثرت في التحصيل باللّغة العربية، وذلك أنّ المتعلم يصادف صعوبات في التحكم اللغوي أثناء تلقيه للمادة التعليمية نتيجة لاحتكاك اللغات عنده، ولأنّ معظم الجزائريين يتلقون اللّغة العربية في المدارس باعتبارها نظام لغوي جديد ومغاير لنظامهم اللهجي، فاللغة الأم لمعظم الجزائريين عبارة عن لهجات أمازيغية، وهذا ما يعرقل على المشاركة في العملية التعليمية إضافة إلى هذه العوامل يعتبر غياب الكفاءة في المؤسسات التعليمية من أهم أسباب تدني التعليم باللّغة العربية.

تقف جميلة روقاب عند حدود مصطلح الكفاءة بقولها: (روقاب، 2012، صفحة 52) "فالكفاءة هي مجموعة من القدرات والمعارف والمهارات المنظمة والمجندة بشكل يسمح بالتعرف على إشكالية وحلها من خلال نشاط تظهر فيه آداءات المتعلم ومهاراته في بناء المعرفة".

إضافة إلى ما سبق ذكره فإنّ من مآخذ اللّغة العربية واستعمالها في الجزائر أنها محصورة في مؤسسات تعليمية معينة ومقيدة بزمن معين، واستعمالها خاص بفئة معينة دون غيرهم، نظرا للانتشار الواسع للغات الأجنبية في المجتمع الجزائري وميل هذا الأخير لاستعمال اللغات الأجنبية وتعلمها وتعليمها. ولقد تعددت الغايات وراء تعلم اللغات الأجنبية ناهيك عن الدوافع والمسببات

الاجتماعية الأخرى، أين تعيش اللّغة العربية الفصحى حبيسة بعض الدوائر الصغرى من الحياة العلمية للمجتمع الجزائري، فلا تستطيع بذلك أن تتنفس في كل ميدان، وعلى كل قلم ولسان.

وعليه تواجه اللّغة العربية في الجامعة الجزائرية تحديات من جوانب متعددة، وفي ظل هذه الهيمنة أصبح الخطر يتربص التعليم من حيث الجودة والكفاءة ويصطدم بها الطالب الجامعي مع بداية مشواره الدراسي، ويصبح تحصيله مرتبط بتحصيله للتخصص الذي يدرس فيه، وما يفسر رسوب الطلبة في السنة الأولى في التخصصات العلمية والدقيقة. إضافة إلى قناعة الطلبة في هذه الفترة بأهمية اللغة الفرنسية في التحصيل العلمي. والقضية هنا قضية تخطيط تقوم به الدول المتقدمة والتي هيمنت على الدول الضعيفة بفعل الاستعمار العسكري والغزو الثقافي وكل ذلك من أجل الهيمنة الاقتصادية.

6- التكنولوجيا والتعليم باللغة العربية في الجامعة الجزائرية:

تعتبر الجامعات العربية عموما والجامعة الجزائرية خصوصا عُرضة لمجموعة من التحديات، خاصة وأنّ الجامعة تعتبر جزء من البنية العالمية، والتعليم الجامعي في ظل العولمة ينظر إليه كسلعة تجارية رغم أنّ للعولمة جوانب إيجابية كزيادة فرص الالتحاق بالتعليم العالي إلاّ أنّ لها جوانب سلبية كذلك تقف عائقا أمام جامعاتنا.

تواجه اللّغة العربية تحديات كبيرة متمثلة في المصالح المادية الناتجة عن التشهير بأنّ اللّغة الإنجليزية هي اللّغة العالمية. أما العالمية فهي (الضبيب، 2001، صفحة 16) "عملية تكثيف الاتصالات والانفتاح بين الدول، ويتزايد اعتماد التبادل فيما بينهما، كما تطرح العالمية أفكارا إنسانية تقبل بالتبادل بين الثقافات المختلفة حينما يحدث تداخل أو امتزاج بينهما".

وإذا بحثنا في مفهوم العلمانية وجدنا أنه يختلف عن مفهوم العولمة، فالعلمانية هي حركة تسعى إلى توجيه الناس للاهتمام بالأمور الدنيوية وعدم الاهتمام بالآخرة، وبمعنى آخر فصل العلم عن الدين، وهذا سيؤدي حتما إلى عدم الاهتمام باللغة العربية الفصيحة لغة الدين الإسلامي، وهذا دعوة غير مباشرة للتخلي عن اللّغة العربية الفصيحة والاهتمام باللهجات أكثر، يقول منصور خوجة: (مصايف، 1973، صفحة 79، 80)"اللّغة العربية الفصحى المتقادمة جدا لا تلائم أبدا عصرنا الحاضر المبني على العلم والتقدم، الأمر الذي نتج عنه أنّ الشعوب العربية الشرقية ظلّت بمعزل عن الحضارة والرقيّ، أما بالنسبة لنا نحن الجزائريين ضرورة تبسيط وتطوير اللّغة العربية وذلك بتبني اللهجة الجزائرية واستعمال الحروف اللاتينية مكان العربية". يتضح من هذا الكلام –حسب صاحبه– أنّ اللّغة العربية لا تتناسب مع العصر، وقد دعا إلى مزج اللّغة العربية باللّغة اللاتينية لتلتحق اللّغة العربية بالتطور والرقي العالمي، حيث يرى أنّ اللّغة العربية الفصيحة سبب في ابتعاد الشعوب العربية عن الحضارة، وطبعا هذا الأمر تصريح خطير جدا لأنّ اللّغة العربية أحد مقومات الدول العربية التي يجب الحفاظ عليها.

لقد أثرت التكنولوجيا الحديثة بصورة كبيرة على اللّغة العربية، خاصة ما يتعلق بالجانب المصطلحي فقد ظهرت مصطلحات جديدة وكثيرة مما أدى إلى تغيرات في أنماط استخدام اللغة العربية. وهذا ما شكل تحديا كبيرا للحفاظ على اللّغة العربية الفصيحة واستخدامها بشكل صحيح وفعّال، حيث أنّ الاستخدام الكبير لوسائل التواصل الاجتماعي مثلا واعتماد المراسلات الالكترونية أدى إلى تغيير في طريقة توظيف النظام اللغوي العربي بطريقة صحيحة كاستخدام الرموز والاختصارات مثلا، وهذا ما لا تتقبله اللّغة

العربية، وأما إذا تعلق الأمر بإدخال التعليم الالكتروني في برامج وآليات البحث في خدمة المعلم والمادة التعليمية. فهنا نجد أنفسنا أمام ما يسمى بالتعليم التقني أو الالكتروني من المفروض أن يكون الهدف منه جعل التعليم أكثر متعة وتشويقا.

وإذا تحدثنا عن اللّغة العربية نرى أنّها ليست عاجزة على التعامل التقني ومسايرة التطور التقني والتكنولوجي، ولا مناط من الدمج بين التعليم التقليدي بأشكاله المختلفة والتعليم الالكتروني حيث يمكن أن يحقق ذلك نتائج إيجابية تعود على المعلم والمتعلم معا. فاستعمال التكنولوجيات الحديثة في التعليم من شأنه أن يقتصر الكثير من الجهد والوقت نظرا لسهولة الوصول إلى المعلومة وإمكانية مشاركتها بين الأساتذة والطلبة وتصحيحها، وتعزيز أنماط التعليم التشاركي من خلال المجموعات التعليمية مع إمكانية تقديم دورات تعليمية عن بعد للطلبة خارج أوقات التدريس، وهذا الأمر في حد ذاته يمكن أن يفتح بابا أمام غير الناطقين باللّغة العربية لتعلمها والتعامل معها.

إنّ تقدم أي أمة في مجال من المجالات يجب أن يكون أولا بالدفاع عن لغتها وحمايتها والعمل على خدمتها من أجل مواكبة كل تطور يعترضها. وللحفاظ على اللّغة العربية لابد من التشجيع أولا على حفظ القرآن الكريم كونه المصدر الأول للغة العربية الفصيحة بعدها الحديث النبوي والأشعار العربية القديمة. ومن ثمة الاهتمام بتزويد اللّغة العربية ببرامج سمعية ومرئية، وكذلك إدخال كل المدونة العربية العلمية إلكترونيا على شبكة الأنترنيت ولما لا العمل على ترجمة الكتب من اللغات الأجنبية للغة العربية لأنّ التعليم باللّغة العربية لا يعني عدم الاهتمام باللغات الأجنبية، مع ضرورة العمل على التوحيد المصطلحي بين الدول العربية لتجنب التعامل مع المصطلح الأجنبي، لأنّ مشكلة اللّغة العربية ليس في عدم وجود المقابل العربي وإنما في تعدده بين الدول العربية.

خاتمة:

نخلص من خلال هذه الورقة البحثية أنّ اللّغة العربية هي الحضن الروحي للبلدان العربية كلها ومنها الجزائر، ومن الواجب رعايتها والنهوض بها بجميع الوسائل. ومن بين أكثر الوسائل فعالية تعريب التعليم الجامعي ونقل العلوم للغة العربية، والعمل على التعليم والتأليف بها والتركيز على تطويرها أكثر في التعاملات الرسمية في المؤسسات الحكومية وتهيئتها لكي تكون لغة بحث وفكر وعلم ونشر في المستقبل كما كانت في سابق عهدها. ومن أهم توصيات هذه الورقة البحثية ما يلي:

–العمل على تعريب التعليم الجامعي ومتابعة هذه التجربة وتطويرها من طرف أخصائيين بالشراكة مع الدول التي خاضت هذه التجربة من قبل.

–العمل على تطوير المعاجم العربية بمختلف تخصصاتها العلمية ومواكبة كل المصطلحات المتدفقة الجديدة في كل المجالات العلمية بشكل سريع جدا، وتعريبها لتصبح في متناول الباحث الجامعي الجزائري.

–العمل على غرس حب اللّغة العربية في نفوس الطلبة والأساتذة الجامعيين الجزائريين عن طريق الاهتمام بها في جميع المؤسسات التعليمية والإعلامية والعمل على تطوير طرائق تدريسها وتيسيرها للمتعلمين كونها شرط أساسي في تطوير الفكر والابداع والقدرات الذهنية لدى الباحث.

المصادر والمراجع:

(16 يناير, 1991). *الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية*(03).

أحمد محمد الضبيب. (2001). *اللغة العربية في عصر العولمة*. (فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، المحرر) مكتبة العبيكان.

جميلة روقاب. (2012). تعليمية اللغة العربية في المدرسة الجزائرية بين الكفاءة والرداءة. (مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، المحرر) *مجلة الممارسات اللغوية*، *03*(03).

حفصة جرادي. (2017). رؤية لسياسة التعريب في الجزائر. *مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية*(28).

خنيش السعيد. (2016). تكنولوجيا تعليم اللغة العربية في الجامعة الجزائرية، دراسة وصفية تحليلية في الوسائل والتقنيات المعتمدة في التعليم. *رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه*. (جامعة باتنة، المحرر) قسم اللغة والأدب العربي، كلية اللغة والأدب العربي والفنون، الجزائر.

رشيد طعيمة، محمد بن سلمان الكندري. (2004). *التعليم الجامعي بين رصد الواقع ورؤى التطوير* (الإصدار ط1). دار الفكر العربي.

سعاد شابي. (2013). دور الجامعة الجزائرية في خدمة اللغة العربية في ظل العولمة. *مجلة الحقيقة*، *12*(03).

علي عبد ربه حسين إسماعيل. (2007). *البناء التنظيمي للأقسام العلمية الجامعية*. (قسم أصول التربية، جامعة المنصورة، المحرر) دار الجامعة الجديدة.

فلوريان كولماس. (2002). *اللغة والاقتصاد*. (أحمد عوض، المترجمون) عالم المعرفة.

مازن المبارك. (1985). *اللغة العربية في التعليم العالي والبحث العلمي* (الإصدار ط3). (مؤسسة الرسالة، المحرر) دار النفائس.

مبارك تريكي. (2012). السياسة اللغوية في الجزائر والتنمية البشرية. (مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، المحرر) *مجلة الممارسات اللغوية*(17).

محمد مصايف. (1973). *الثورة والتعريب*. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

References :

(16 Yanāyir, 1991). al-Jarīdah al-Rasmīyah lil-Jumhūrīyah al-Jazā'irīyah (03).

Aḥmad Muḥammad al-Ḍubayb. (2001). al-lughah al-'Arabīyah fī 'aṣr al-'awlamah. (Fahrasat Maktabat al-Malik Fahd al-Waṭanīyah, al-muḥarrir) Maktabat al-'Ubaykān.

Jamīlah rwqāb. (2012). ta'līmīyah al-lughah al-'Arabīyah fī al-Madrasah al-Jazā'irīyah bayna al-kafā'ah wālrdā'h. (Makhbar al-mumārasāt al-lughawīyah, al-muḥarrir) Majallat al-mumārasāt al-lughawīyah, 03 (03).

Ḥafṣah Jawādī. (2017). ru'yah li-siyāsat al-Ta'rīb fī al-Jazā'ir. Majallat al-'Ulūm al-Insānīyah wa-al-Ijtimā'īyah (28).

Khnysh al-Sa'īd. (2016). Tiknūlūjiyā ta'allum al-lughah al-'Arabīyah fī al-Jāmi'ah al-Jazā'irīyah, dirāsah waṣfīyah taḥlīlīyah fī al-wasā'il wa-al-taqniyāt al-mu'tamadah fī al-Ta'līm. Risālat muqaddimah li-nayl shahādat al-duktūrāh. (Jāmi'at Bātnah, al-muḥarrir) Qism al-lughah wa-al-adab al-'Arabī, Kullīyat al-lughah wa-al-adab al-'Arabī wa-al-Funūn, al-Jazā'ir.

Rashīd Ṭu'aymah, Muḥammad ibn Salmān al-Kandarī. (2004). al-Ta'līm al-Jāmi'ī bayna raṣd al-wāqi' wa-ru'á al-taṭwīr (al-iṣdār Ṭ1). Dār al-Fikr al-'Arabī.

Su'ād Shābbī. (2013). Dawr al-Jāmi'ah al-Jazā'irīyah fī khidmat al-lughah al-'Arabīyah fī ẓill al-'awlamah. Majallat al-ḥaqīqah, 12 (03).

'Alī 'Abd Rabbih Ḥusayn Ismā'īl. (2007). al-binā' al-tanẓīmī ll'qsām al-'Ilmīyah al-Jāmi'īyah. (Qism uṣūl al-Tarbiyah, Jāmi'at al-Manṣūrah, al-muḥarrir) Dār al-Jāmi'ah al-Jadīdah.

Flwryān kwlmās. (2002). al-lughah wa-al-iqtiṣād. (Aḥmad 'Awaḍ, al-Mutarjimūn) 'Ālam al-Ma'rifah.

Māzin al-Mubārak. (1985). al-lughah al-'Arabīyah fī al-Ta'līm al-'Ālī wa-al-Baḥth al-'Ilmī (al-iṣdār ṭ3). (Mu'assasat al-Risālah, al-muḥarrir) Dār al-Nafā'is.

Mubārak Triki. (2012). al-siyāsah al-lughawīyah fī al-Jazā'ir wa-al-tanmiyah al-basharīyah. (Makhbar al-mumārasāt al-lughawīyah, al-muḥarrir) Majallat al-mumārasāt al-lughawīyah (17).

Muḥammad maṣāyif. (1973). al-thawrah wa-al-Ta'rīb. al-Jazā'ir : al-Sharikah al-Waṭanīyah lil-Nashr wa-al-Tawzī'.